

٢

هل يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب

مقابلتان منفصلتان مع هارتفورد: كورنث في عشرين سبتمبر ٢٠٠١،

ويشييد بارسيميان في ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال : هل حرب الأمة ضد ما يسمى بالإرهاب يمكن الفوز فيها؟ إذا كانت الإجابة نعم، فكيف؟ وإذا كانت لا، فما الذي يجب أن تفعله إدارة بوش لمنع هجمات مثل تلك التي دهمت نيو يورك وواشنطن؟

تشومسكي : إذا ما أردنا النظر جدياً في هذا السؤال، فيجب أن نقر بأن الولايات المتحدة ينظر إليها، في معظم أنحاء العالم، بوصفها دولة إرهابية من الطراز الأول، ولهذا أسبابه الوجيهة. ربما يتوجب علينا أن نتذكر، على سبيل المثال، أنه في ١٩٨٦ أدانت المحكمة الدولية الولايات المتحدة بسبب "الاستخدام غير الشرعي للقوة" . . . إرهاب دولي. ثم استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضد قرار من مجلس الأمن يطلب من جميع الدول، ويعني الولايات المتحدة الالتزام بالقانون الدولي. وهذا مثال واحد من العديد من الأمثلة. ولكن إذا ما قصرنا الكلام على السؤال الضيق - إرهاب الآخرين الموجه ضدنا - فنحن نعرف تمام المعرفة كيف يجب تناول المشكلة، إذا ما كنا نبغى التقليل من هذا التهديد، بدلاً من تصعيده. فحين انطلقت قنابل الجيش الجمهوري الأيرلندي في لندن، لم تصدر دعوات بإلقاء القنابل على غرب بلفاست، أو بوستون [في أمريكا]، وهي مصدر الكثير من الدعم المالي للجيش الجمهوري السري، بل اتخذت خطوات للقبض على الجناة، وبذلت الجهود للتعامل مع ما يكمن وراء اللجوء للإرهاب. وحين فجر مبنى اتحادى فيدرالى فى مدينة أوكلاهوما، صدرت دعوات لإلقاء القنابل على الشرق الأوسط، وكان من الممكن

أن يحدث ذلك إذا اتضح أن المصدر هناك، وحين اكتشف أنه داخلي، وله صلات بميليشيات أقصى اليمين المتطرف، لم تكن هناك دعوات لمحو مونتانا، وأيداها، بل تم البحث عن مرتكب هذا العمل، وتم العثور عليه، وقدم للمحاكمة، وحكم عليه، وكانت هناك جهود لفهم الشكاوى أو المظالم التي تكمن وراء مثل هذه الجرائم، والتعامل مع المشكلات. فكل جريمة تقريراً، سواء كانت سرقة في الشوارع، أو كانت أعمالاً بشعة، لها أسبابها، وكثيراً ما نجد أن بعض هذه الأسباب خطيرة، ويجب التعامل معها. وهناك سبل سليمة وقانونية يجب السير بناء عليها في حالة ارتكاب الجرائم، مهما كان نطاق هذه الجرائم، كما توجد سوابق. والمثال الذي ذكرته توأ يعد مثلاً واضحاً، وهو مثال يجب ألا يثور حوله الجدل؛ بسبب رد فعل أعلى السلطات الدولية. في الثمانينيات من القرن العشرين، خضعت نيكاراغوا لهجوم عنيف من جانب الولايات المتحدة، ومات عشرات الألوف من الناس، وتم تدمير البلاد تدميراً كبيراً، حتى أنها قد لا تعود أبداً كما كانت، وصحب الهجوم الإرهابي الدولي حرب اقتصادية مدمرة، لا تكاد تتحملها دولة صغيرة تعزلها قوة عظمى قاسية متعطشة للانتقام، كما شرح بالتفصيل أكبر مؤرخي نيكاراغوا «توماس ووكر»، على سبيل المثال. إن آثار ذلك على البلاد أشد قسوة حتى من مأسى نيويورك التي حدثت في ذلك اليوم، ولم تكن استجابتها هي إطلاق القنابل على واشنطن، هم ذهبوا إلى المحكمة الدولية، التي حكمت لصالحهم، وأمرت الولايات المتحدة بالإحجام عن ذلك، ودفع تعويضات ضخمة، فرفضت الولايات المتحدة هذا الحكم بازدراء، وردت بتصعيد مباشر للهجوم، ثم ذهبت نيكاراغوا إلى مجلس الأمن، الذي نظر في إصدار قرار يطالب الدول بمراجعة القانون الدولي، فاستخدمت الولايات المتحدة وحدها حق النقض. فذهبوا إلى الجمعية العامة، حيث حصلوا على قرار مشابه، عارضته الولايات المتحدة وإسرائيل لسنتين متتاليتين، انضمت إليهما، في إحدى المرتين، السلطادور. هذه هي الطريقة التي يجب على أي دولة أن تتبعها، فلو توافرت لنيكاراغوا ما يكفي من القوة، لأمكنها إقامة محكمة جنائية أخرى. وهذه هي الإجراءات التي كان في استطاعة الولايات المتحدة أن تتبعها، ولن يعرقلها أحد.

وهذا هو ما يطلبه منهم الشعب فى كل أنحاء المنطقة، بما فى ذلك حلفاؤهم .
وعليك أن تتذكر، أن حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مثل حكومة الجزائر
الإرهابية، وهى إحدى أشدهم شراً، سوف يسعدها أن تنضم إلى الولايات المتحدة
فى التصدى للشبكات الإرهابية التى تهاجمها . فهى أول المستهدفين . ولكنها تطلب
بعض الأدلة، وهى تريد أن تفعل ذلك داخل إطار ولو بأقل قدر من الالتزام بالقانون
الدولى . أما الموقف المصرى فهو موقف معقد، فمصر جزء من النظام الرئيسى الذى
نظم القوى الإسلامية المتطرفة الذى كانت شبكة ابن لادن جزءاً منه، وكانت أول
ضحاياه حين اغتيال السادات، كما كانت من ضحاياه الرئيسيين منذ ذلك الوقت،
وتود القضاء على هذه التنظيمات، ولكن، كما يقولون، بعد العثور على بعض الأدلة
التي تشير إلى المتورطين، وفى إطار ميثاق الأمم المتحدة، وتحت مظلة مجلس الأمن .
وهذا هو الطريق الذى يتبعه المرء إذا كانت النية هى التقليل من احتمال وقوع المزيد من
هذه الأعمال البشعة . وهناك طريق آخر هو رد الفعل على العنف البالغ، ويتوقع منه
التصعيد فى دائرة العنف؛ مما يؤدى إلى المزيد من الأعمال البشعة، مثل ذلك الطريق
الذى يحث على الدعوة للاتقام . فدينامكية الحركة فى ذلك شىء مألوف .

**سؤال: ما الجانب أو الجوانب التى لم تلق تغطية صحفية بواسطة الصحف
المهمة؟ وما السبب فى أن هذه الجوانب يجب أن تلقى المزيد من الانتباه؟**

تشومسكى: هناك العديد من الأسئلة الجوهرية .

أولاً: ما طرق الفعل المفتوحة أمامنا، وما عواقبها المحتملة؟ لم تكن هناك،
تقريباً، أى مناقشة لخيار الالتزام بالقانون الدولى، كما يفعل الآخرون،
كينيكارجوا، على سبيل المثال، التى ذكرتها توكا والتى فشلت بالطبع، ولكن لن يقف
أحد فى وجه مثل هذه التحركات من جانب الولايات المتحدة . أو كما فعلت إنجلترا
فى حالة الجيش الجمهورى السرى، أو كما فعلت الولايات المتحدة حين وجدت أن
إلقاء القنابل على مدينة أو كلاهما كان عملاً داخلياً أصلاً . وهناك من الحالات ما
لا حصر له، وبدلاً من ذلك، هناك - حتى الآن - دق للطبول التى تدعو لرد الفعل
العنيف، ونادراً ما تذكر أن هذا لن ينتج عنه سوى خسائر فادحة لضحايا أبرياء

تماماً، كثير منهم أفغان من ضحايا الطالبان، وإن هذا سوف يكون استجابة لأحر دعوات ابن لادن، وشبكته.

والسؤال الثاني هو "لماذا" ونادرا ما يثار هذا السؤال على نحو جاد. إن رفض مواجهة هذا السؤال يعنى اختيار احتمال زيادة الجرائم من هذا النوع زيادة كبيرة. كانت هناك بعض الاستثناءات. فكما ذكرت سابقاً، لقد قامت صحيفة الوول ستريت جورنال، ولها الفضل فى ذلك، باستطلاع آراء "المسلمين الأثرياء" المؤيدين لأمريكا، ولكنهم شديداً الانتقاد لسياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، لأسباب معروفة لأى شخص يعير أى قدر من الانتباه. إن المشاعر فى الشارع متشابهة، وإن كانت أشد مرارة وغضباً. أما شبكة ابن لادن نفسها، فتقع فى فئة مختلفة، بل إن أعمالها، على مدى عشرين سنة تسببت فى الضرر الشديد للفقراء والمقهورين فى المنطقة، والذين لا يهتمون الشبكات الإرهابية - وإنما هم ينهلون من مخزون من الغضب والخوف واليأس، ولهذا السبب هم يدعون الله من أجل رد فعل عنيف من جانب الولايات المتحدة، فهذا سوف يعبئ آخرين من أجل قضيتهم الشنيعة - مثل هذه الموضوعات يجب أن تحتل الصفحات الأولى، على الأقل إذا ما كنا نرغب فى التقليل من دائرة العنف، بدلاً من تصعيدها.

* * *